
4
أشبال الإسلام
رافع بن خديج
وسُمرة بن جندب
بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافي سيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢



4

أشبال الإسلام

« الطفولة » مرحلة مهمة للغاية . وهى ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان فى شبابه وفى رجولته .

وفى هذه السلسلة تطالع :

صورا مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند « أبطال صغار » ، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم ، فكان من بينهم : العالم ، والمحارب الشجاع ، وقائد الجيش .

إن « الطفل الصغير » يستطيع أن يعرف دوره فى الحياة ، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة ، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه .

وسوف يجد الطفل المتعة فى أثناء قراءة هذه السلسلة التى كُتبت بأسلوب قصصى مشوق ولغة أدبية شفافة .

وجيه يعقوب السيد
مدرس مساعد بكلية الألسن
جامعة عين شمس

رافع بن خديج وسمرة بن جندب

بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨١٥٥ - ٢٨٣٥٥٥١ - ٢٨٥٦٦٩٧
فاكس : ٢٨٩٧٠٠٢

عَلى الرَّغْمِ منْ أَنَّهما لمْ يتجاوزَا الْخَامسةَ عشرَةَ ، إلاَّ أَنَّكَ حينَ تنظُرُ إلَيهما تشعُر بأَنكَ أَمامَ رَجُلَيْن فى سنِّ النُّضجِ والرُّجولةِ .

كانَ إِصْرارُهما وشَجاعَتُهُما النَّادِران مَصْدرَ إِعْجابِ الرَّسُولِ ﷺ بهما هو وسائِر الصَّحابة .

مَنْ تُرَى يكونُ هذان الغُلامان الصَّغيران ؟ ـ أَقْصِدُ : الْبَطَلانِ الْعظيمانِ ! ـ إِنَّهما (سَمُرَةُ بنُ جُنْدُب) و (رافِعُ بنُ خَدِيج) .

لكنَّ الْكثيرَ منَّا لمْ يسْمَعْ عنهُما مِنْ قَبْلُ ؟ أَجلْ ، فهذِهِ هى صِفَاتُ الأَبْطالِ الْعظامِ ، حيثُ لا يهْتَمُّون بذكْرِ إِنْجازاتِهِمْ ، لكنَّ إِنْجازَاتِهِمُ الْعظيمةَ هى التى تكْفُلُ لهُمُ الْخُلودَ والْبَقَاءَ . . .

إِذا ذكَرْتَ أَحدَهما كان عليكَ أَنْ تذكُرَ الآخرَ ، لأَنَّهما بطَلانِ اشْتركا فى مُهِمَّةٍ واحدَةٍ ، وجمعَ الْحُبُّ فى اللَّه بيْنَ قلْبَيْهِما ، فلمْ يجْتَمِعا إلاَّ فى الْحَقِّ ومِنْ أَجْله ، ولمْ يَفْتَرِقَا إلاَّ على الْحَقِّ .



تذكَّروا جَيِّدًا هذيْنِ الاسْمَيْنِ ، فسوْفَ نعْرِفُ من خِلالِهِما أَنَّ الْبُطُولَةَ ليْسَتْ حِكْرًا على كِبارِ السِّنِّ ، ولكنَّ صغارَ السِّنِّ والأَطْفالَ لهمْ فيها نَصيبٌ كبيرٌ وحَظٌّ وَفير ، إذا ما توفَّر لهمْ مِنْ شجاعةِ الْقَلْبِ مِثلَ ما توفَّرُ لهذيْنِ البَطليْنِ .

فمُنْذُ أَنْ بدأتِ الدَّعْوةُ الإِسْلامِيَّةُ تظْهَرُ فى الْوُجودِ ، والْمُسْلِمونَ يشْعُرونَ بما قدْ يُصيبُهُمْ من أَخْطارٍ بسَبَب الصِّراعِ بيْنَ الْحقِّ والْباطِلِ ، ولِذَلكَ فقدْ هَيَّأَ الْمُسْلمونَ أنفُسَهم لِتَحمُّلِ الْمشَاقِّ ، وتدرَّبوا على الْجِهادِ فى سبيل اللَّهِ تَحَسُّبًا لِلْمُواجَهةِ معَ الْمُشْركينَ فى أىِّ وقْتٍ ، ودِفاعًا عنْ أَنْفُسِهم إذا اقْتَضَتِ الضَّرورةُ ذلكَ .

وهَا هى ذِى أَوَّلُ مُعْرِكةٍ فى تَاريخِ الإِسْلامِ ، وَأَوَّلُ مُواجَهَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ بيْنَ الْمُسْلمينَ والْكُفَّارِ فى (بَدْرٍ الْكُبْرَى) .

وهَا هُمُ الْمُسْلِمُون القادِرون على الْحَرْبِ والْجِهادِ فى سبيلِ اللَّه يَحْمِلون سُيُوفَهمْ ويخْرُجُونَ لِمُحَارَبَةِ أَعْداءِ الإِسْلامِ .

وأَمَامَ دارِه كـان الْبَطلُ الصَّغِيرُ (رافعُ بنُ خَدِيج) يَصْقُلُ



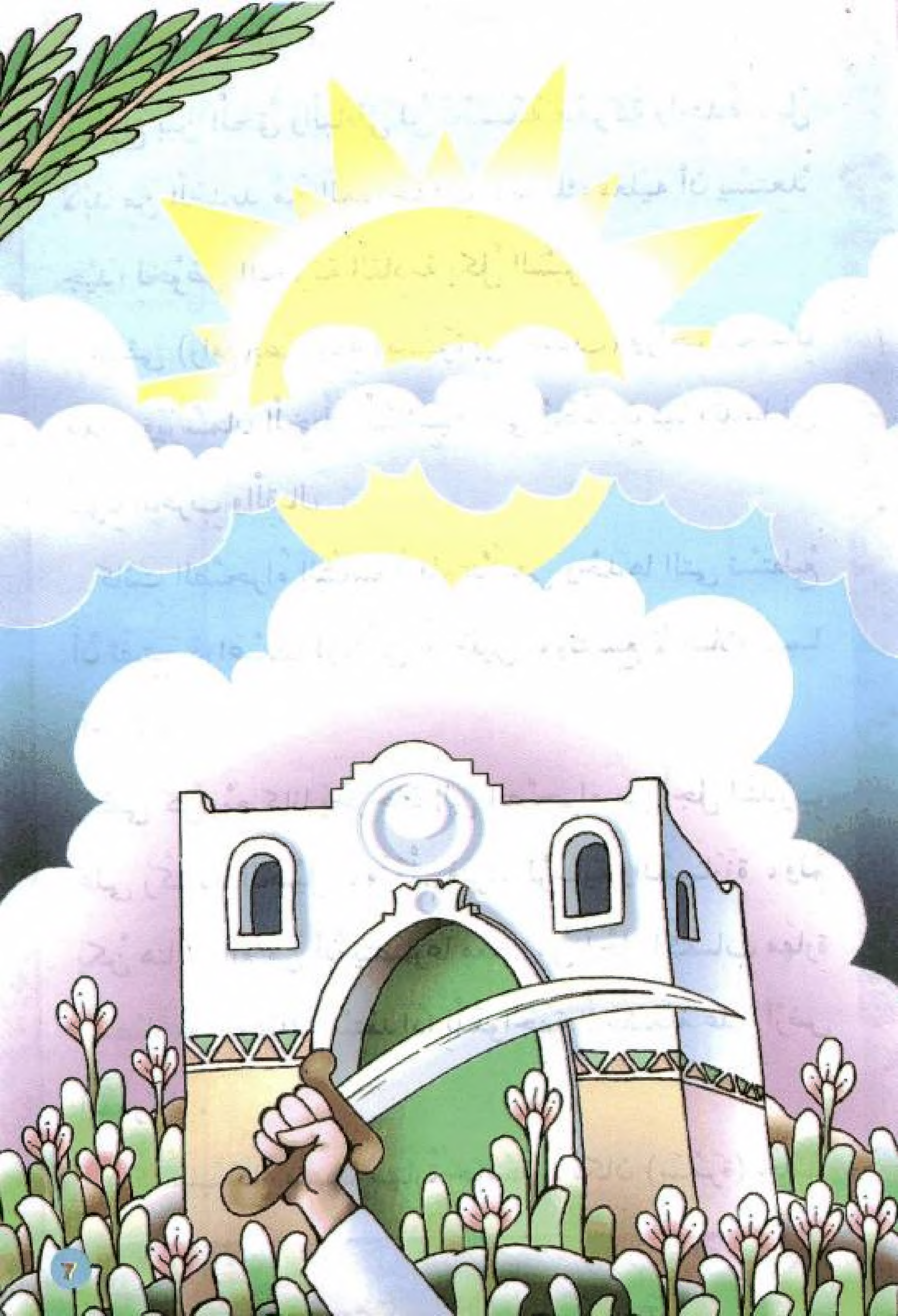
سَيْفَه ، ويُخْرجُه من غِمْدِه ، ويحرِّكُه يمينًا وشمالاً اسْتعْدادًا لِلْمَعْرَكَةِ ، وراحَ يُناجِي نَفْسَه : الْيَوْمَ سأُقاتِلُ في سَبيلِ اللَّه ، وسَوْفَ أُدافعُ بِسَيْفي هذا عنْ حُرُماتِ الْمُسْلمين .

وأَسْرعَ (رافعُ بنُ خَديجٍ) خُطاهُ إِلى الرَّسولِ ﷺ ، لِكَيْ يتطوَّعَ في الْجَيْش معَ الْمُجَاهِدين ، وهو يُمَنِّي نَفْسَهُ بالقِتال إلى جوارِ الْكِبارِ والأَبْطالِ .

وكمْ كانتْ سعَادةُ الرَّسُولِ ﷺ كبيرةً بهذا الْبَطل الصَّغيرِ ، لكنَّه أَشْفَقَ علَيْه ، وخافَ على هذه الزَّهْرةِ التي ما زالَتْ تَتَفَتَّحُ مِن شَرَاسةِ الْمَعْرَكَةِ وساحَةِ الْقتالِ ، فأَمَرَهُ بالْعَوْدةِ في رِفْقٍ ولِينٍ بعْدَ أَنْ شكَرَهُ على هذه الرُّوحِ الْقتاليَّةِ .

امْتَثَلَ (رافعٌ) لأَمْرِ رَسولِ اللَّه ﷺ وعادَ إلى بَيْتِه بعْدَ أَنْ أَغْمَدَ سَيْفَه ، ودُموعُه تسيلُ على خدِّه حُزْنًا على عدمِ إِشْراكِه في هذه الْمَعْرَكَةِ ، وعدم نَوالِه شرَفَ الْجهادِ في سبيل اللَّه .

لكنَّ (رافع) لم يَيْئَسْ ولمْ يسْتسلِمْ ، وأَدْركَ بِبَصيرَتِه أَنَّ



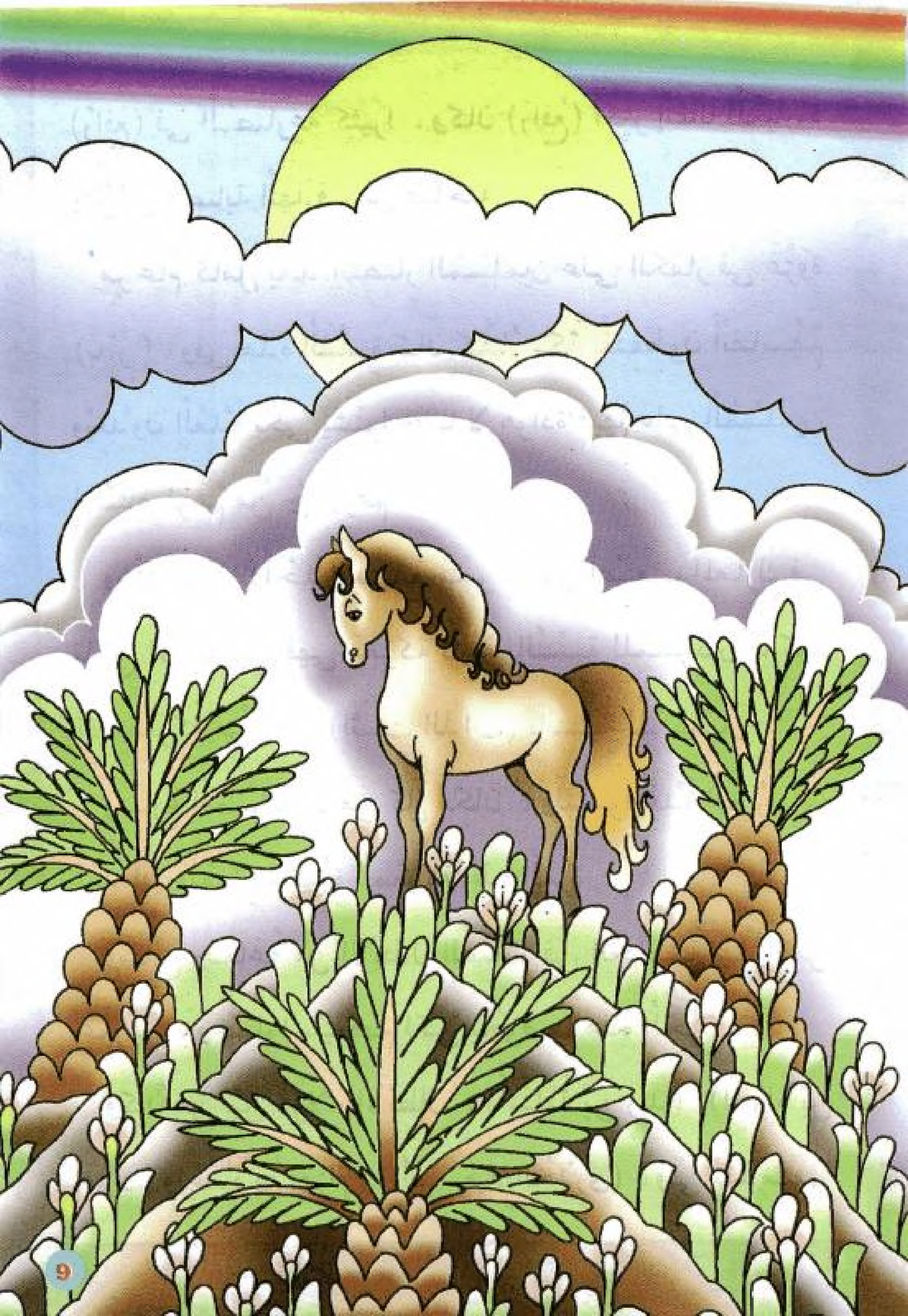
الصِّراعَ بيْن الْحقِّ والْباطلِ لنْ تَحْسِمَهُ معْركةٌ واحِدةٌ ، بلْ لابُدَّ مِنَ الْعَدِيدِ منَ الْمُواجهاتِ ، لذلك فعلَيْه أَنْ يسْتعِدَّ جَيِّدًا لِخوْضِ الْمَعْركة الْقادمَةِ بكلِّ السُّبُل .

الْتَقى (رافع) بصَديقهِ (سَمُرَةَ بنِ جُنْدُب) وراحا يبْحثانِ معًا ، ويَرْسُمان الْخِطَّةَ الْمُناسِبةَ التى يُحَقِّقانِ بها تقَدُّمًا فى فُنُونِ الْحرْبِ والْقِتالِ .

كانتِ الصَّحراءُ الشَّاسعةُ الممتدَّةُ هى وحْدَها التى تسْتطيعُ أَنْ تفْتحَ ذراعَيْها لهذَيْن الْبطَلَيْن ، وتتَّسعَ لأحْلامِهما الْعَرِيضة .

ففِى كلِّ يوْم كانا يَخْرُجان إلى الصَّحراءِ من أَجل التَّدرُّبِ على رُكُوبِ الْخَيْل ، وتَعَلُّم فنونِ الرِّماية والْمُبارَزَةِ ، ولمْ يكنْ هناكَ مانعٌ منْ أَنْ يتصارعا معًا ، مِنْ أَجْلِ اكْتِسابِ مهارةِ الْمُصارَعَةِ ، وذلك استِعْدادًا لِلْمُواجَهةِ الْحَقيقيَّة على أرْضِ الْمَعْركَةِ .

واكْتَسبَ كلٌّ مِنْهما مهارةً خاصَّةً ، فكان (سَمُرَة) يغْلِبُ



(رَافِعَ) فى الْمُصَارعةِ كثيرًا ، وكان (رَافِعُ) أَكْثَرَ إِتْقانًا لِلْمُبارزَةِ والرَّمْىِ وإصابةِ الْهَدَف مِنْ صاحِبِهِ .

مرَّ عامٌ كاملٌ بعْدَ انْتصارِ الْمُسْلمين على الْكُفَّار فى غَزْوَةِ (بَدْرٍ) ، وفى هذه الْفَتْرةِ كان كفَّارُ مكَّةَ يلْتقِطون أَنْفاسَهُمْ ويُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لكىْ يَشُنُّوا حَرْبًا لا هَوادَةَ فيها على الْمُسْلمينَ لِيَسْتأْصِلُوهُمْ مِنْ جُذُورِهِمْ .

وعِنْد جبَلِ (أُحُدٍ) ستقعُ مَعْركةٌ مِنْ أَصْعبِ المعارِكِ فى تاريخِ الإِسْلامِ ، فهى مَعْركةٌ ثأْرِيَّةٌ بالنِّسْبةِ لِلْمُشْرِكينَ ، كما أَنَّها مَعْركةٌ مِنْ أَجْلِ (إِثْباتِ الذَّات) بالنِّسْبةِ لِلْمُسْلمينَ .

وسارعَ الْمُسْلمون من كُلِّ مكانٍ ، ولَبِسوا عُدَّةَ الْحَرْبِ ، بَعْدَ أَنْ علِمُوا بِخُطورةِ الْمَعْركةِ هذه المرَّةَ .

وسارعَ جماعَةٌ مِنَ الأَبْطالِ الصِّغارِ فى الْخامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِمْ ، وحَمَلوا سُيُوفَهم لكىْ يَخُوضوا هذه الْحَرْبَ .

وكانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلاءِ الأَبْطالِ : (أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ) و(الْبَرَاءُ بْنُ عَازِب) و(عَمْرُو بنُ حزام) و(أَبو سَعيدٍ الْخُدْرِىُّ) ، وفى مُقَدِّمَتِهِمْ



الْبطلُ (رافعُ بْنُ خَدِيج) .

ولكنْ ، أَلَمْ يكنْ (سَـمُـرةُ بنُ جُنْدُب) بيْنَ هؤلاءِ الأَبْطال الصِّغار ؟

وما الَّذى مَنَعهُ مِنَ الانْضِمامِ إِلَيْهم وقدْ ظلَّ يتدرَّبُ على الْقتالِ ويسْتَعِدُّ لهذهِ الْمَعْركةِ الْحاسِمَةِ ؟

فى الْحقيقة لمْ يكنْ (سَمُرةُ بنُ جُنْدُب) مَوْجُودًا فى ساحةِ الْمَعْركةِ حتَّى هذه اللَّحْظَة ، فقدْ مَنَعهُ أَهْلُه وحاولوا إِقْناعَهُ بالْبقَاءِ فى الْبَيْت لأَنَّه ما زالَ صغيرًا ، واللَّهُ تعالى لمْ يُكلِّفِ الصِّغارَ بالْحَرب .

وحاولَ (سَمُرةُ) إِقْناعَ أَهْلِه بكلِّ السُّبُلِ حتَّى يَسْمَحوا لهُ بالْخُروج إِلى ساحةِ الْمَعْركة ، ولَمَّا طالَ بينهُمُ النِّقاشُ اقْتَرحَ عليهِمْ أَنْ يَخْرُجَ لمقابَلةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ لِكَىْ يُقرِّرَ هذا الأَمْرَ بنفْسهِ .

اسْتَعْرَضَ الرَّسُول ﷺ جَيْشَهُ ، وأَخذ يُنَظِّمُ الصُّفُوفَ ، ويُوزِّعُ الْمهَامَّ على الْجُنُودِ ، ويُعْطى تَعْليماتهِ لَهُمْ .



ورأى الرَّسُولُ ﷺ ـ وهُوَ يقومُ بذلكَ ـ هَؤُلاءِ الأَطْفالَ الصِّغارَ وهمْ يَحْمِلونَ سُيُوفَهُم ويَقفون وسطَ الْجنُودِ .

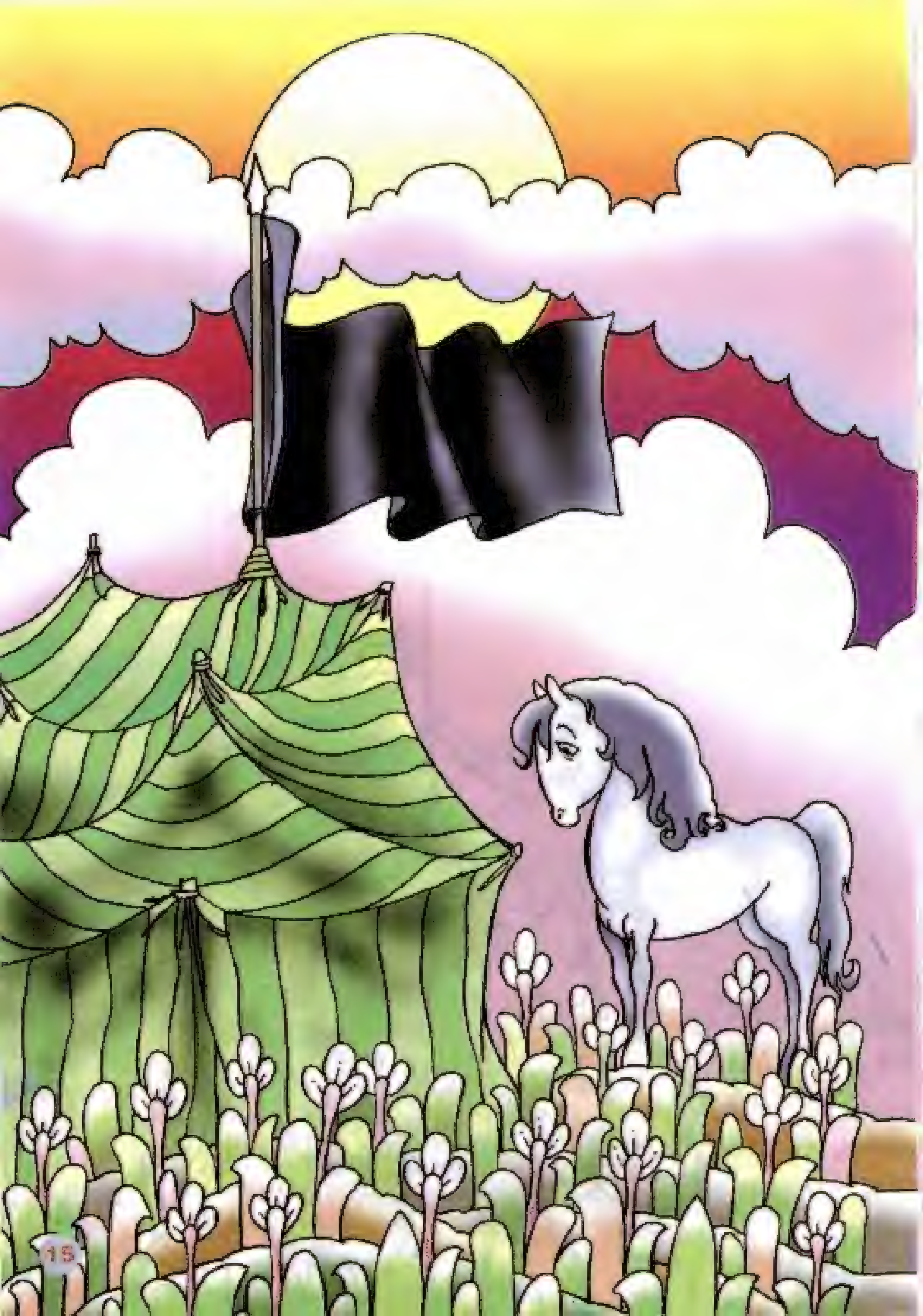
لكنَّ الرَّسولَ ﷺ أَشْفَقَ علَيْهِم بسببِ صِغَرِ سِنِّهِمْ ، فأَمرَهُمْ بالْبقاءِ فى الْمدينَةِ هذه الْمرَّةَ أَيْضًا .

كانَ (رَافعُ بْنُ خَدِيج) يَقفُ بعيدًا عَنْ أَصْدقائِه الصِّغارِ ، ورأَى ما حدثَ فَنبضَ قلبُه بشدَّةٍ خوفًا من أَنْ يُعيدَه الرَّسولُ ﷺ إلى الْمدينَةِ كما أَعادَ رِفَاقَهُ .

وحاوَلَ (رَافع) بكلِّ السُّبُلِ أَنْ يَبْدُوَ مُتميِّزًا عن أَصْدقائه ، فأَخذَ يقِفُ على أَطْرافِ أَصَابِعه ويَرْفَعُ هَامَتَهُ إِلى أَعْلَى لِكىْ يَبْدُوَ أَكْثَر طولاً عنْهم ، وراحَ يدْعُو اللّه مِنْ أَعْماقِ قلْبِه أَنْ يقْبلَه الرَّسول ﷺ هذه الْمرَّةَ .

لكنَّ الرَّسولَ ﷺ ، الذى امْتَلأَتْ نَفْسُهُ إِعْجابًا بهؤُلاءِ الأَبْطالِ الصِّغارِ ، اقْتربَ منْ (رَافع) ، ورأَى أَنْ يُعيدَه مع رِفاقِه إلى الْمدينَةِ حِمايَةً لهمْ واسْتِبْقاءً لهمْ من أَجْلِ الْمُسْتَقْبَل .

وكانَ كِبارُ الصَّحابةِ يعْلَمونَ أَنَّ (رافع) مُتميِّزٌ عنْ باقى







رِفاقِهِ فى الرَّمْيِ وأَنَّ رُوحَهُ الْقِتالِيَّةَ عالِيَةٌ ، فأَشاروا على الرَّسولِ ﷺ أَنْ يُبْقِيَهُ وقالوا فى أَدَبٍ :

ـ إنَّ (رَافع) يُجيدُ الرِّمايَةَ والْمُبارزَةَ يا رسولَ اللَّه ، ثم إِنَّ قامَتَه طَويلَةٌ عنْ أَصْدِقائِه ، وهو أَقوى منهمْ بِنْيَةً وجَسَدًا .

وافقَ الرَّسولُ ﷺ على اقْتِراحِ أَصْحابِه ، فأَمَر بإِبْقاءِ (رافع) ، ولمْ يكَدْ (رافع) يَسْمعُ ذلك حتى قَفَزتِ الْفَرْحَةُ مِن عيْنَيهِ ، وحلَّقَ بخيالِهِ فى ساحةِ الْمعركةِ .

وطارَ الْخَبَرُ وانْتَشَر فى الْمدينَةِ ، وعلِمَ كلُّ الْغِلْمانِ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ قدْ سَمحَ لـ (رافع) بالْجِهادِ فى سَبيلِ اللَّه ، فَغَبَطوهُ على ذلك وتَمَنَّوْا لوْ كانوا معه فى ساحَةِ الْقتالِ .

لكنَّ (سَمُرة بْنُ جُندب) بالذَّاتِ ، لم يهدأْ له بالٌ ، فقدْ أَصَرَّ على أَنْ يُجاهدَ جَنْبًا إِلى جَنْبٍ معَ صديقهِ (رافع) . ولِمَ لا ؟ وهو فى مِثْلِ قُوَّتِه وشجَاعتِه ، بلْ إِنَّهُ كان يَصْرَعُه كثيرًا إِذا تصارَعَا .

وازْدادَ إِلْحاحُ (سَمُرة) على والِدَيْه لكىْ يقابِلَ رسُولَ اللَّه ،



وفى آخرِ الأَمْر اصْطحبوهُ إلى رسُولِ اللَّه ﷺ قبْلَ بدْءِ الْمعركةِ لكىْ يرى فيه الرَّأْى المناسبَ .

وعندما التَقَتْ عَيناهُ بعَيْنَىْ رسولِ اللَّه ﷺ ازْدادَ تألُّقًا ، وشَعَّ الْبَهاءُ والضِّياءُ منْهما ، وقال فى بَراءةٍ وخُشُوعٍ :

ـ يارسولَ اللّه ، أَجَزْتَ (رافعًا) وأنا فى مِثْلِ سِنِّه ، ولوْ صارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ .

كان هذا المشْهَدُ النَّبيلُ الرَّائعُ يُبَشِّرُ بالْخَيْرِ الْكثيرِ الذى يُرْتَجَى منْ أَشْبالِ الإسْلامِ ، فإذا كانوا علَى هذا الْقَدْرِ من الرُّجولةِ والتَّضْحيةِ والْفداءِ ، وهمْ أَطْفالٌ صِغارٌ ، لمْ يكْتُبِ اللَّهُ عليهمُ الْجهادَ ، فما بَالُكَ عنْدمَا يكْبرونَ ويَصيرونَ رجَالاً ؟

وأَرادَ الرَّسولُ أَنْ يَخْتَبِرَ قوَّةَ (سمُرَة) فسمحَ له بمُصارَعةِ صديقِه (رافع) ، ورأَى الرَّسولُ ﷺ الصَّديقَيْنِ الصَّغيرَيْنِ وهما يتصارَعانِ ، وحاولَ (سمرة) جاهدًا أَنْ يُظْهِرَ قوَّتَه ، ونجحَ فى ذلكَ وكانَتِ الْغَلَبَةُ له ، فقدْ كان بُنْيانُه قَوِيًا ، كما كانت عَزِيمَتُهُ أَقْوَى .



وعِنْدما رأى الرّسولُ ﷺ منْه ذَلكَ سمحَ لهُ بالْمُشارَكَةِ فى الْمَعْركةِ جَنْبًا إلى جنبٍ مع صَديقِه (رافع) .

ولمْ يكَدْ (سَمُرة) يسْمعُ ذلك منْ رسولِ اللّه ، حتى طارَ قلْبُهُ من الْفَرْحةِ وابْتَهجتْ نَفْسُه ، وأَسْرعَ نَحْوَهُ صديقُهُ (رافع) واحْتَضَنهُ وهنّأهُ على قَبُولِ رسُولِ اللّه ﷺ .

وتَحَوَّلَتِ الدُّنْيا كُلُّها إلى ساحةٍ للْمعركةِ أَمامَ هَذَيْنِ الْبَطَلَيْنِ الصَّغيريْنِ ؛ الْمعركَةِ المقَدَّسةِ التى يتصارَعُ فيها الْخَيْرُ والشَّرُّ، والنُّورُ والظَّلامُ .

وراحَ الْبطلانِ يتخيَّلانِ ما سوْفَ تُسْفِرُ عنْهُ المعركةُ من نصْرٍ مُبينٍ لِجُنْدِ اللّه ، وهزيمةٍ ساحقةٍ لِجُنْدِ الشَّيْطانِ .

وبدأَتِ الْمعركةُ ، وقهرَ المسْلمُونَ المشْركِينَ ، حتى لاذَ المشْركونَ بالْفِرارِ .

وكان (رافع) و(سَمُرة) يقاتلانِ قتالَ الأَبْطال جَنْبًا إلى جنْبٍ ، وأَثْبتَ كلٌّ منهُما أَنه أَهْلٌ لِثِقَةِ رَسولِ اللّه ﷺ به .

وعِنْدما تلاقَتِ السُّيوفُ تَحْتَ لَهيبِ الشَّمْسِ الْحارقةِ ، ثَبتَ



الْبَطلانِ ولَمْ يظْهَرِ الْخَوْفُ عليهما ، وكأَنهما يخوضانِ معْركةً لِلْمَرَّةِ الْعِشْرينَ وليْسَ للْمَرَّةِ الأُولى .

كادَتِ الْمعركةُ تَنْتهى لصالح المسلمينَ بالنَّصْرِ الْمُؤَزَّرِ ، لوْلا مخالَفَةُ الرُّماةِ الذينَ كانوا فوْقَ جَبَلِ أُحُدٍ لأَوامِرِ الرَّسولِ ﷺ ، حيْثُ لمْ يكادُوا يُبْصِرونَ الْمُشْركينَ يهْربُونَ حتَّى نَزَلوا مِنْ فوْقِ الْجبَلِ وطارَدُوهمْ ، وفى هذا الْوَقْتِ كانَ الْمُشْركون ينْصِبونَ كَميناً لِلْمُسْلمين حيْثُ هاجَمُوهُمْ مِنْ خَلْفِ الْجَبَلِ بعْد نزولِ الرُّماةِ .

وفى غَمْضَةِ عَيْنٍ ، تحوَّل النَّصْرُ إلى هَزيمة ، وتحوَّلتِ الْفرْحةُ إلى حُزْنٍ عمَّ كلَّ الْمُسْلمين . وفى هذه الْمَعْركةِ جُرِحَ الرَّسولُ ﷺ ؛ وتَعلَّمَ الْمُسْلمون دَرْسًا لمْ يَنْسَوْهُ بعْد ذلك ، فلمْ يُخالفوا رأْىَ رسولِ اللَّه ﷺ أَبدًا .

وفى هذه الْمعركةِ جُرِحَ الْبَطلُ (رافعُ بْنُ خديج) بسَهْمٍ جُرْحًا بالغًا ، لكنهُ لمْ يتأَثَّرْ وظلَّ يُقاتلُ برَغْمِ ما به منْ آلامٍ ، ولمْ يتَلَقَّ الْعِلاجَ إلا بعْد أَنِ انْتَهتِ الْمعركةُ . ولمْ يكُنْ



صديقُهُ (سَمُرة) بعيدًا عَنْه ، فقدْ كانَ بِجوارِه يُواسِيه ويَشُدُّ مِنْ أَزْرِه .

ومضَتِ الأَيَّامُ ، وفى كلِّ يومٍ كان الْبَطلانِ يكْتَسِبانِ الْمَزِيدَ منَ الْخِبْرَةِ والشَّجاعةِ والإِصْرار . فكانا يُشارِكانِ فى كلِّ مَعْركةٍ ، وكانتْ ساحاتُ الْقِتالِ تعْرِفُهُما ، وكانَ الأَعْداءُ يحْسِبُونَ لَهُما أَلْفَ حِسابٍ ، لأَنَّهما بَطَلانِ فوْقَ الْعادَةِ ، بَطَلانِ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِما ، رَضَعا الْبُطولَةَ والتَّضْحِيةَ مُنْذُ الطُّفولةِ .

ولمْ يكنْ (رافع) و(سمُرة) بطلَيْنِ فى ساحةِ الْقِتالِ فَحَسْبُ ، بلْ كانا بطلَيْنِ فى كلِّ جانبٍ مِنْ جوانبِ حياتِهما ، فقدْ كانتْ حياتُهُما مَثَلاً وَنَموذَجًا للْمسْلم الْجادِّ الذى يعْرِفُ غايَتَه منَ الْحياةِ وهدَفَهُ فيها .

فقدْ كان (رافع) ـ إلى جانب جِهادِه وبُطُولَتِه ـ مُتَفَقِّهًا فى أُمورِ دينِه ، مُتَبَحِّرًا فى العلم ، ورَوَى عنِ النَّبىِّ ﷺ الْعَديدَ منَ الأَحاديثِ الصَّحيحةِ التى كانَ قدْ سَمِعَها مِنْه وحَفِظَها ،



وقد تلقّى كِبَارُ الصّحابَةِ هذهِ الأَحاديثَ بالْقَبولِ والرِّضا ، مِمَّا يدُلُّ على تَقْديرِهم لـ (رافع) ومَكانَتِه .

وبِجانبِ ذلك كُلِّه ، كانَ يدْرِكُ قيمَةَ الْعمل ، لذلكَ فقدْ كان يأْكلُ منْ عمَلِ يدَيْه ويُنْفِقُ على أُسْرَتِه وأَوْلادِه منْ كَدِّه وعَرَقِه ، وظلَّ مُجاهِدًا إلى أَنْ لَقِيَ رَبَّهُ عامَ أَرْبعٍ وسَبْعِينَ لِلْهِجْرةِ .

كذلك كانَ (سمُرة) مِثْلَ صاحِبِه ، بطَلاً فى ساحةِ الْمعركةِ ، وبَطَلاً فى حيَاتِه وفى مَواقِفِه . وكانَ عابِدًا حينَ يَكُونُ فى مِحْرابِه ، خاشِعًا للَّه ، مُتَضَرِّعًا إلَيْه ، كما كانَ يَحْرِصُ على الْعِلْم والتَّعَلُّمِ .

ومِمَّا يدُلُّ على سِعَةِ عِلْمِه ما حكاهُ عنْ نفْسه بِقَولِه :

ـ « لقدْ كُنْتُ على عَهْدِ رسُولِ اللَّه ﷺ غُلامًا ، فكنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ ، فما يَمْنَعُني من الْقَوْلِ إلاَّ أَنَّ هاهُنا رِجالاً هم أَسَنُّ مِنِّى » .

وبذلك فقدْ جمَعَ إلى جانبِ الشّجاعةِ والْعِلْمِ ، حُسْنَ



الْخُلُقِ والأَدَبَ الرَّفيعَ . فهو لا يتجاوزُ قَدْرَهُ حينَ يكونُ جالِسًا مع الْكِبارِ ، لكنَّهُ يجْلِسُ فى أَدَبٍ وتَوَاضُعٍ ، وإِن كان لحديثِهِ ضَرُورةٌ تحدَّثَ فى أَدَبٍ شَديدٍ .

وكانتْ حياتُهُ مدْرَسةً فى الْجهادِ ، تعلَّمَ منْها الْكِبارُ والصِّغارُ .

فقدْ خاضَ الْمعاركَ ، وهو طفْلٌ ، ثم وهو شَابٌّ يافعٌ ، ولمْ يتْرُكْ ساحَةَ الْجِهادِ حتى وهو شَيْخٌ هَرِمٌ .

وضَرَبَ أَرْوَعَ مَثَلٍ على الْبَسالةِ والرُّجولةِ حتى آخرَ لَحْظةٍ فى حياتِهِ .

ولَقِىَ ربَّهُ راضِيًا مُطْمئِنَّ النفْسِ عامَ ستِّينَ منَ الْهِجْرةِ بعْدَ رحلةٍ طويلةٍ فى الجهاد والبطولة .

وإِذا كان لنا أَنْ نتعَلَّمَ منْ سيرةِ هذَيْنِ الْبَطلَيْنِ شيْئًا ، فهو أَنَّ الطُّفولَةَ مرْحَلَةٌ يمكنُ أَنْ يقدِّمَ فيها الطِّفْلُ الْكثيرَ .

فالطُّفولَةُ ليْستْ فى عُمْرِ الإِنْسانِ ، ولكِنَّها فى مَواقِفِهِ وأَفْعالِهِ .



فعلى الرَّغْمِ منْ صِغَرِ سَنِّ هذَيْن البَطلَيْنِ ، إلاَّ أَنهما كانَا بطَلَيْنِ فوْقَ الْعَادَة .

وإذا كانَ لنا أَنْ نَحْرِصَ على قِيمةٍ نسْتَفيدُها ، فَلْنَحْرِصْ على الاقْتِداءِ بأَبْطالِ الإِسْلامِ الذين غيَّروا مَجْرَى التَّارِيخِ ، حتى نكونَ مِثْلَهُمْ .

فَتَشبَّهوا ، إِنْ لمْ تكونوا مِثْلهُمْ

إِنَّ التَّشَبُّهَ بالرِّجالِ فَلاَحٌ !

(تمـــت)

رقم الإيداع : ٢٠٨٠

الترقيم الدولي : ٤ ـ ٣٠٧ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧